النشـــــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٩ / ١٩٩٩
الأحد ٢٨ شباط
الأحد الأول من الصوم
أحد الأرثوذكسية
تذكار أبينا الباراسيليوس المعترف

اللحن الخامس
إنجيل السَحَر الخامس

الـــرســـالـــة (رومية ١٣ : ١١ – ١٤؛ ١٤ : ١ – ٤)
الإنـــجـــيـــل (متى ٦ : ١٤ – ٢١)

+ البار جراسيموس

لعلّ سيرة البار جراسيموس الذي نسك في الأردن موافقة لموسم الصوم المبارك لمـــا تميّز به البار من نسك الصوم وصـــلاة واتّضـــاع وعـــدم محبـــة القنيـــة. وهكـــذا إذ تقيـــم الكنيسةالجامعة تذكاره في الرابع من آذار نتضرعّ الى الله أن يجعل موسم الصـــوم المبـــارك الذي نحن فيه موسماً نقتدي فيه بسيَر الآباء القديسين فننال غبطة القديسين في ملكوته.

ولد البار جراسيموس في إقليم ليكيا في آسيا الصغرى في أوائـــل القـــرن الخـــامس. عُرف منذ حداثته بحبه للنسك، لذلك عاش عدداً من السنين ناسكاً في موطنه الى أن انتقل الـــى

بلاد فلسطين واستقرّ في قفار مجاورة لنهر الأردن. عاش سيرة قداسة تميّزت بالصوم والصلوات وضبط الحواس إضافة الى العمل اليدوي.

تعرّض في حياته لتجربة ايمانية هزّته وجعلته يبكي عليها الى آخر ايام حياته. فبعدما ظهرت هرطقة اوطيخا الذي قال بطبيعة إلهية واحدة في المسيح، والتي شجبها المجمع المسكوني الرابع (٤٥١)، أوقع أحد رهبان فلسطين جراسيموس والملكة افدوكيا في هذه الهرطقة. لكن الله أرسل لجراسيموس إنساناً قديساً اسمه افثيميوس، كان ناسكاً عظيماً ومدافعاً كبيراً عن الإيمان القويم، شرح له خطأه وأظهر له الإيمان الصحيح، فعاد جراسيموس الى السراط المستقيم نادماً على فعله، وبكى بكاءً مراً حتى آخر أيام حياته، وساهم في إعادة عدد كبير من الرهبان عن ضلالهم.

ذاع صيت جراسيموس فالتحق به عدد كبير من الرهبان الذين أرادوا مشاركته الحياة النسكية والعيش تحت إرشاداته، فبنى لهم أكثر من سبعين قلاية منفصلة إضافة الى دير كبير للمبتدئين. فمن أراد اللحاق به يعيش أولاً في الدير ومتى اختبر حياة الشركة كان جراسيموس يسمح له بالإنتقال الى العيش في إحدى القلالي منفرداً وناسكاً. كان هؤلاء يعيشون صامتين في قلاليهم خمسة أيام في الأسبوع، مثابرين على الصلاة والتأملات والأعمال اليدوية، ويحضرون يومي السبت والأحد الى الدير للمشاركة في القدسات والتزوّد ببعض الخضر المسلوقة والخبز والماء، مع أغصان النخل التي يستعملونها لصنع السلال التي كانوا يأتون بها الى الدير. كانوا يعيشون مع جراسيموس في القلالي في فقر كلي، ينامون على الأرض وغطاؤهم من الخيش. علَّمهم جراسيموس ان لا يُغلقوا أبواب قلاليهم بعد خروجهم منها دلالة على عدم محبة القنية وعلى ان كل شيء في قلاية الشخص هو ملك للجماعة "لكي يعرفوا ذواتهم دائماً انهم غرباء في هذا العالم ولا يمتلكون شيئاً." وكان لا يسمح للذين في القلالي بأن يوقدوا السرج، لأن من يصلّي ويرتل المزامير لا يحتاج للنور لكي يصلّي ويرتل. ومن يرغب عكس ذلك عليه الإنتقال الى دير المبتدئين حيث تتوافر هذه الأمور.

لما عاين سكان مدينة أريحا القريبة منهم نسكهم وحياتهم الروحية، صاروا يتوافدون اليهم حاملين لهم الطعام والشراب. لكن جراسيموس كان يتحاشى مقابلة هؤلاء لئلاّ يتسبّب له الأمر بالتشتت الروحي. ويُقال انه كثيراً ما كان يقضي فترة الصوم الكبير دون طعام ويقتات فقط من المناولة المقدسة، وهكذا كان تلاميذه يرون نسكهم كل شيء أمام نسكه. ظل مثابراً على هذه العيشة القاسية الى أن رقد بسلام في الرابع من شهر آذار من العام ٤٧٥. فبشفاعته اللهم ارحمنا وخلّصنا آمين.

+ رسالة غبطة البطريرك إغناطيوس الرابع بمناسبة الصوم الأربعيني المقدس

الى أبنائنا بالرب الإكليروس الموقر والشعب الحسن العبادة

نهديكم البركة الأبوية مع الأدعية القلبية بحفظكم ونتوجه إليكم، مع مطلع الصوم الأربعيني المقدس، بهذه الرسالة الرعائية التي نضمّنها محبتنا وأدعيتنا لتجوزوا هذه الفترة بسلام مع ذواتكم ومع الخليقة كافة، وتتأهّلوا لإشراقات أنوار القيامة المجيدة بلا عيب.

لقد لفتنا في المجمع المقدس في دورتيه الأخيرتين، فيما كنا نتدارس حالنا الروحية، أنكم كثيراً ما تهملون سر التوبة إهمالاً شديداً الى جانب ازدياد وعيكم وعزمكم على أن تحيوا بالمسيح. وهكذا بتنا أما ثغرة في تكويننا الروحي، وتعاملنا مع سر إلهي عظيم هو سر التوبة المقدس. لذلك رأى آباء المجمع المقدس أن أخاطبكم بهذه الكلمة الأبوية علّنا نداوي هذا الجرح الذي أخذ ينزف في الجسم الكنسي. أجل، عندما كان للمؤمنين الممارسين إلفة مع هذا السر، كان ضعافهم يشكّون في مكانة الكاهن ودوره في الاعتراف ويتساءلون عن معنى الإقرار بالذنوب أمام بشريّ مثلهم ويحتجون أن لله وحده سلطان الحلّ للخطايا. وكان التطرف يقود بعضاً الى الإحجام عن المناولة الإلهية إذا لم يسبقها اعتراف صريح بالهفوات التي التي نصاب بها كل يوم. وصار وضع البطرشيل على رأس وتلاوة صلاة الحلّ على المؤمن المعبر الوحيد الإلزامي الى الكأس المقدسة.

لم نكن ندرك أننا نقتبل سر الشكر المغفرة الخطايا، وأن من تاب صادقاً في أعماق نفسه يمكنه أن يتقبّل سر الشركة. وبهذا يبقى في شركة الكنيسة.

لقد أحسّ شعبنا حقيقة الكلام الإلهي: " إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم" (يو٦: ٥٣). ولكن تناول المؤمنين معاً لا يبرّر إهمالنا لسرّ التوبة. فالأسرار كلها متكاملة بنياناً واحداً. وعلينا أن ندرس سر التوبة على حدة، وأن نعرف كنهه ومكانته في مسيرة تحرّرنا من الخطيئة.

ما الأساس الكتابي الإنجيلي لسر التوبة ؟ هناك أساس سابق لممارسة الاعتراف (القانوني) لدى الكاهن وهي المصالحة التي تتم بين الإخوة على أساس المصالحة المتبادلة حسب قول الرب: " إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما. إن سمع منك فقد ربحت أخاك، وأن لم يسمع فخذ أيضا واحدا أو اثنين لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة. وإن لم يسمع منك فقل للكنيسة " (متى ١٨: ١٥-١٧).

هذا تمهيد أساسي للاعتراف القانوني. فإنك إن لم تصالح أخاك فليس عندك توبة. فإن لم يقبل منك أخوك عرض المصالحة استعن ببقية المؤمنين عليه. فإن لم يسمع من الكنيسة

وهي موضع التلاقي المحب فليكن عندمك كوثني وعشار. بمعنى أن مـــن لا يقبـل تـأديب الكنيسة له يكون قد خرج منها.

فإن قَبِل أخوك المصالحة فإنه يقبل سلام الله عليه. من الغافر إذ ذاك ؟ في أعجوبـــة الإنسان المفلوح يسوع هو القائل للمريض: " أيها الإنسان مغفورة لك خطاياك " (لـو ٥: ٢). ثم يأتي الكلام : " فابتدأ الكتبة والفريسيون يفكرون في قلوبهم قائلين : من هذا الـــذي يتكلّـم بتجاديف. من يقدر أن يغفر إلا الله وحده " (الآية ٢٠). بعد هذا يؤكد السيد " أن لابن الإنسـان سلطاناً أن يغفر الخطايا " (الآية ٢١)، فيقيم المفلوج ليؤكد أنه (أي المسيح) هو الـــذي يغفـر الخطايا. ففي إطار الاعتراف القانوني وخارج الاعتراف، الله وحده هو الغافر. وهذا ما تؤكده صلاة الحل : "الإله الذي صفح لداود عن جميع خطاياه بواسطة ناثان النبي، ولبطـــرس لمّـا ندب جحوده، وللزانية لما دمعت على قدميه، وللإبن الشاطر لمّا عرف ذنوبه، هو الذي يصفح لك ". الكاهن يعلن هذا الصفح الذي يأتي من فوق ويتمّ الغفران الإلهي عنـــد ذاك. ولا يقـــول الكاهن الأرثوذكسي ، " أنا أحلك أو أنا أغفر لك ".

والتوبة التي نتحدث عنها ليست مجرد تنكّر لبعض الأعمال المشينة بناءً على مقـاييس أخلاقية. إنها العودة الى وجه الله والى عبادته بيسوع المسيح. هي رجوعك الى الرب شخصيا رجوعك الى أب حاضنٍ رؤوف بعد أن تكون أنت قد تركته وذهبت وراء آلهـــة ســـواه لمّـــا تعبّدت لشهواتك.

ولكن كما أن المعمودية ليست بالماء فقط ولكنها تتضمن تغيير الذهن بالكلمة والروح، هكذا يأتي الإرشاد بكلمة الله من الأسقف أو الكاهن ليكون الاعتراف كاملاً وسليماً وتكـــون الكلمة تجديداً للعقل والقلب وحافزاً على عدم السقوط ثانية في جب الهلاك. وإن صلاة الحـــلّ إعلان عن إجراء المصالحة مع الرب والجماعة. الكاهن المعّرف يقول هذا باسم الكنيسة كلـها التي جدّد المعترف بنوّته لله فيها. من بعد اعترافك تذهب لتسلك في جدة الحياة كما وعدت بعد معموديتك. هنا يأتي السؤال: إذا كنتُ أخطئ دائماً هل يجب أن أعترف دائماً بعد كل خطيئـة؟ الجواب " إن الموضوع ليس موضوعاً حقوقياً شكلياً حتى نسنّ له قوانين. فالتوبة حالة يعيشها المؤمن من بعد خطيئات. فخطاياك ضد الآخرين تُحلُّ بذهابك إليهم وطلب المسامحة منـهم، لا بمجرد اعترافك شكلياً أما الكاهن. فالاعتراف ليس حلاً سحرياً للزلاّت.

أمام هذا التعليم، وفي ضوء التاريخ الكنسي، نعترف بالخطايا التي أثقلت ضميرنـــا، ولا بأس أن نضيف عليها الإقرار بكل خطأ وقعنا فيه. ولعلّ الطريق المثلى عنـــد مراجعـــة ماضينا القريب، أي الواقع بين آخر اعتراف والاعتراف الحاضر، أن نكشف النفـــس أمـــام الوصايا العشر لنتذكّر أي ذنب اقترفناه أو ربما اتخذنا القاعة الإنجيلية : " أحبب الرب إلـــهك

... وأحبب قريبك كنفسك " فنعرف بوضوح ما اقترفناه بالفكر والقول والعمل. ولا نذكر أسماء الآخرين لأن الكاهن لا تهمّه معرفة اسم من أخطأنا إليه أو من أخطأنا معه. المهم هو وضعنا الروحي، وضعنا نحن. وقد يفرض الكاهن علينا تأديباً إصلاحياً مثل صوم إضافي أو ركعات أو أدعية نكرّرها أو صدقة. هذا ترويض روحي صحي يساعدنا على المواجهة الجدية لكل إغراء جديد.

لقد أردنا بتذكيركم الأصول والتعليم الذي يقوم عليه سر التوبة ألاّ تهملوا هذا السر الذي يكشف لنا أن الرب طيب وأن حياتنا في الكنيسة هي أن نذوق المسيح وأن نعرفه قريباً منّا وساكناً فينا فنتجدد بمعرفته " الى أن ننتهي جميعنا الى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله الى إنسان كامل الى قياس قامة ملء المسيح " (أفسس ٤: ١٣) حتى إذا جُدّدنا بهذه المعرفة نلتحق بمسيرة الخلاص التي افتتحها بدمه وأعلنها بقيامته.

هذا وبركة الرب فلتشملكم جميعاً.

إغناطيوس الرابع
بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

+ " اتبعني "

" إتبعني ". انه الشك ل العاديّ الأغلب للدعوة التي يوجّهها يسوع الى الذين سيصبحون تلاميذه.

أن نتبع يسوع يفترض، قبل كل شيء، الاّ نكون حيث لا يكون هو، وألاّ نذهب الى حيث لا يمكنه أن يذهب. ثمّ أن نذهب الى حيث يذهب. نذهب معه، فلا نتبعه عن بعد بل قريباً منه : ولا نطمح الى سبقه والسّير أسرع منه ، بل أن نمشي وراءه باتّضاع.

لا اهتمام بشيء غير اتباع يسوع. ماذا يهمّك أنت ؟ " اتبعني ". فما سوف يصير إليه يوحنا لا يعني بطرس. ان ما يعني بطرس هو فقط اتباع يسوع.

يا ابني، أنت قلق بشأن أشخاص كثيرين وأشياء عديدة ، أن قلق على حياتك ذاتها، وعلى ما باشرت من عمل ، ولكني لم أطلب منك غير شيء واحد بسيط جداً : أن تتبعني.

إنّ تلميذَيْ يسوع الأولَيْن، إذ تركا المعمدان تبعا، صامتَيْن، وعن بعد، معلّمهما الجديد. وكأنّ يسوع لم يشعر بهما إلا ساعةَ التفتَ وسألهما. كذلك أنا، عليّ أن أمشي وراء يسوع دون أن يوجّه لي كلاماً، ودون أن يدعني أرى وجهه. يكفي أنْ أعرف أنّ يسوع هنا، قريباً جداً. وفي الساعة التي يريد سوف يتوجّه نحوي.

عندما نسأل يسوع ، كثيراً ما يطرح علينا سؤالاً بدلاً من أن يجيبنا. هكذا كان يتصرّف مع أحباء إسرائيل. ونحن نخاف، بالفطرة، أسئلة يسوع هذه، لكننا، إذ نقبلها ونحبها، نسمع، مسبقاً، الجواب عليها.

يتكلّم يسوع بسلطة فريدة. فاليهود قد أذهلهم تعليمه لأنه كان يتكلّم "بسلطان". ولهجة السلطان هذه تبدو عندما يخاطبنا يسوع في خفايا نفسنا مثلما تبدو في الوقائع التي يذكرها الإنجيل. إنّ في هذا دافعاً قويّاً للإيمان بكلام المعلّم. فمن تُرى يستطيع أن يتكلّم هكذا ؟ من، تُراه، الإنسان، الذي يتجاسر ويتطلّب هذا الخضوع الاّ مشروط ؟

هناك الكلام، وهناك الكلمة. "... الكلام الذي أعطيته لي قد أعطيته لهم ". هذا ما يقوله يسوع لأبيه، بعد العشاء السري. وفي موضع آخر يذكر " كلمة " الآب. فالكلام ليس الرسالة الكاملة في وحدتها بل أقوال منفصلة تلائم مناسبات خاصّة. والكلام عملة غير ذات شأن، فعلينا ان نتعرّف الى الكلمة إذ نكون متنبّهين الى الكلام.

الأب ليف جيليه